مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السابع عشر، العدد الأول، ص225 - ص265 يناير 2009
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

عقيدةُ أهلِ الإسلامِ في نزولِ(عيسى) u

د. سعد عبد الله عاشور

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة – كلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين

ملخص: يدور هذا البحث حول قضية عقائدية هامة، ألا وهي نزول "عيسى" عليه السلام آخر الزمان، ففي حين أن القرآن الكريم والسنة النبوية، أثبتا هذه العقيدة وجدنا وما زلنا من يتنكر لها، ويكذب بها؛ بحجج واهية وشبه ساقطة، حيث ادعوا : أنه ليس في القرآن نص صريح في رفعه إلى السماء بروحه وجسده، كما وليس فيه نص صريح أيضاً على نزوله وإنما تلك عقيدة النصارى.

ومن أجل بيان الحقيقة؛ جاء هذا البحث؛ ليحسم الخلاف القائم، قديماً وحديثاً حول نزول "عيسى" عليه السلام، باعتبار أن نزوله حق يجب الإيمان به، لأنه أحد أشراط الساعة الكبرى، كما قال سبحانه : {**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** }(الزخرف :61) أي : نزول عيسى ، فنزوله عليه السلام حق يجب الإيمان به.

كما هدف هذا البحث إلى الرد على الشبهات الساقطة، والدعاوي الباطلة التي تذرع بها من أنكروا هذه العقيدة، مع بين تهافتها، وعدم صمودها أمام النقد العلمي، حيث أثبت أن نبي الله "عيسى" - u - رفع من الأرض إلى السماء بروحه وجسده؛ عندما أراد اليهود قتله فصلبه، فلم يمكنهم الله منه، وأثبت كذلك أنه سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمان؛ علامة على قرب قيام الساعة.

Beliefs and practices of Islam in the fall (Jesus), peace be upon him

Abstract: This research is on the issue of ideological important, namely, landing (Isa), peace be upon him the last decade, while the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet, have proved this belief, we found and continue to deny, and lie to them; flimsy pretexts and semi-runners, where they claimed that he was not in explicitly in the text of the Koran and then present it to the sky and body, and there is no express provision is also coming, but that the doctrine of Christianity.

In order to illustrate the truth; The research; to settle the dispute, old and newly landed (Isa), peace be upon him, he came on as a right that must be faith in it; that It is aware of the last day) one of the Great Signs of the last day, as the Almighty: (decoration : 61), namely: Jesus go, be get down peace be upon him (is not Tmturn the right to be by faith.

The objective of this research to respond to suspicions falling, and the false claims invoked by those denied with the statement, and the lack of resilience to the exchange of scientific, which proved that the Prophet of God (Jesus), peace be upon him removed from the Earth to the sky spirit and body; when

the Jews wanted to crucify and kill him, they could not God, and proved that it will take to the floor again in the last decade; a sign near the clock.

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده : ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**}(آل عمران:102).

{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**}(النساء:1).

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً{70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً{71}**}(الأحزاب: 70-71).

أما بعد:

أخبرنا الحق تبارك وتعالى : أن اليهود لم يقتلوا رسوله عيسى بن مريم u، وإن ادعوا هذه الدعوى، وصدقها النصارى، والحقيقة أنَّ عيسى - u - لم يُقْتَل ولكن الله ألقى شبهه على غيره، أمّا هو فقد رفعه الله إلى السماء . قال الله تعالى : { **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً{157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً{158}**}(النساء : 157 – 158).

وقد أشار الحق في كتابه إلى أن "عيسى" سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب الساعة {**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** }(الزخرف :61) كما أخبر أن أهل الكتاب في ذلك الزمان سيؤمنون به قال تعالى: {**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** }(النساء :159).

وأصرح ما قيل في تفسير هذه الآية ما قاله ابن جرير - رحمه الله -: إنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته عليه السلام[(1)]، ثم ساق الأحاديث الواردة في ذلك، ومنها ما رواه أَبو هريرة-رضي الله عنه - قال: قال رسول الله e : " والذي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَيُوْشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيْكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً؛ فَيَكْسُرُ الصَّلِيْبَ،

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري – 4 / 356.

وَيَقْتُلُ الْخنْزِيْرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيْضَ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَحَتَّى تَكُوْنَ السَّجْدَةُ للهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيْهَا "[1].

وقد جاء تفصيل هذه النصوص في السنة النبوية، فعندما تشتد فتنة الـدجال ويضـيق الأمر بالمؤمنين في ذلك الزمان؛ ينزل الله عبده ورسوله عيسى u، وينـزل عنـد المنـارة البيضاء شرقي دمشق، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

ومع ذلك فقد تعرضت أحاديث نزوله - كما تعرض غيرها - للهجوم والنقد من قبـل البعض؛ لأنها لم ترق لهم، محتجين بحجج واهية، وشبه ساقطة حيث ادعوا : أنه ليس فـي القرآن نص صريح برفعه إلى السماء بروحه وجسده، كما ليس فيه نص صريح أيضاً علـى نزوله وإنما تلك عقيدة النصارى.

كما أن الأحاديث الواردة في نزوله لم تبلغ درجة التواتر؛ كي تؤخذ منها عقيدة بنزوله، وإنما هي أحاديث آحاد مضطربة في متونها، منكرة في معانيها، في معظمها يشتد ضـعف الرواة؛ وعليه فلا يجب على المسلم أن يعتقد ذلك.

ومن أجل بيان الحقيقة، جاء هذا البحث ليرد على تلك الشبهات، وليبين تهافتها، وعدم صمودها أمام النقد العلمي، وليثبت أن عيسى u لا يزال حياً، وتدل على ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، مدلولها : أن نزول عيسى ابن مريم u يجب الإيمان به، باعتباره أحد أشراط الساعة الكبرى، كما قال سبحانه : **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا }(الزخـرف :61) أي: نـزول عيسى وفي قراءة: {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا }** فنزول عيسى ابن مريم حق يجـب الإيمان به.

وقد رأيت أن أقوم بدراسـة علميـة؛ من أجل بيـان هذه العقيـدة الهامة، وقد جعلت عنوان هذه الدراسة : " **عقيدةُ أهلِ الإسلامِ في نزولِ عيسى** u ".

وقد جاء البحث بعد هذه المقدمة الموجزة في مبحثين وخاتمة، على النحو التالي :

المبحث الأول : التعريف بعيسى ابن مريم u، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : عيسى بن مريم والميلاد المعجز، وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : الحمل بالمسيح وولادته .

المسألة الثانية : كيفية خلق عيسى عليه السلام .

المسألة الثالثة : موقف القرآن من مولد عيسى u .

---

(1) رواه البخاري – 3 / 1272 حديث رقم 3264، ومسلم – 1 / 135 حديث رقم 155.

المطلب الثاني : دعوة عيسى u في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : موقف اليهود من دعوة عيسى u .

المطلب الرابع : رفع عيسى u إلى السماء .

المبحث الثاني : نزول عيسى u من السماء إلى الأرض آخر الزمان، وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : أدلة نزول عيسى في القرآن الكريم والسنة .

المطلب الثاني : شبهات حول أحاديث نزوله u .

المطلب الثالث : نزول عيسى عليه السلام عقيدة إيمانية .

المطلب الرابع : أوصاف عيسى u وكيفية نزوله .

المطلب الخامس : نزول عيسى u من حيث الزمان والمكان .

المطلب السادس : الحكمة في نزول عيسى u دون غيره من الأنبياء .

المطلب السابع : عيسى u يصلي مأموماً وليس إماماً .

المطلب الثامن : أحداث تقع في زمن عيسى u .

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها .

وبعد، فهذا جهد متواضع قمت به خدمة للعقيدة الإسلامية، فإن أصبت؛ فبفضل من الله ومنته، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني لم أدخر جهداً في سبيل الوصول به إلى أرفع مستوى .

والله أسال : أن يعلمني ما ينفعني، وأن ينفعني بما علمني، وأن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع حجة لي لا عليَّ، ويجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

التعريف بعيسى ابن مريم u

المطلب الأول : عيسى بن مريم والميلاد المعجز، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى : الحمل بالمسيح وولادته :

المسيح عيسى ابن مريم، من آل عمران عليهم السلام الذين قال الله تعالى عنهم : { **إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ{33} ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ{34}**}(آل عمران : 33-34)

حملت به أمه "مريم بنت عمران" بنفخة الملك، فكان حمله ومولده آية للناس ومعجزة، كما قال الله تعالى: **{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}**(الأنبياء:91) خلق الله عيسى u بكلمة "كن" كما قال تعالى : **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}**(آل عمران:59)، لقد حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح u وهو الأمر الذي اجتباها الله له، واختارها لأجله، ولقد فوجئت به، فبينما هي قد انتبذت من أهلها مكانا شرقياً، أرسل الله إليها ملكاً تمثل لها بشراً سوياً كما قال تعالى: **{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً{16} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً{17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً{18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً{19} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً{20} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً{21} فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً{22} فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً{23}** (مريم:16-23).

حملت السيدة مريم البتول بعيسى من غير أب، ثم ولدته ولم تبين الآثار مدة الحمل، ولما ولدته ثم خرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم، سواء أكان في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها أم من لا يعرف؛ لأنها فاجأتهم بأمر غريب وهي المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل، فكانت المفاجأة داعية الاتهام؛ لأنه عند المفاجأة تذهب الرؤية، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضي والحاضر، وخصوصاً أن دليل الاتهام قائم، وقرينته أمر عادي لا مجال للريب فيه عادة، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من تلك المفاجأة؛ فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام؛ لينقض الاتهام من أصله، ويأتي على قواعده ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذي لا يأتيه الريب؛ ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه من نسكها وعبادتها، ولذلك نطق الغلام، وهو قريب عهد بالولادة، وكان مولده في بيت لحم[1]، وهي على بضعة كيلو مترات من بيت المقدس، ولما كان مولد المسيح على غير المألوف عند الناس؛ تعرضت أمه العذراء للوم اللائمين؛ فرميت بالفاحشة، بهتاناً وظلماً، لكن الله تعالى تولى الرد عنها، بأن أنطق وليدها بالحق فـ : **{ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً{30} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي**

(1) بَيتُ لحم: بالفتح وسكون الحاء المهملة. مدينة قرب البيت المقدس، عامرة، حافلة، فيها سوق وبازارات، ومكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام، وهي على بعد فرسخين من بيت المقدس . انظر : معجم البلدان– ياقوت الحموي - دار الفكر – بيروت – 1 / 521.

بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً{31} وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً{32} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً{33} (مريم : 30-33)

وذلك بعد أن أمسكت أمه عن الكلام مع القوم حين سألوها، فلما نطق وليدها صدق به قليلون، وتمادى الآخرون في الغي والضلال؛ فاتهموها بالفاحشة[1] { **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً{29} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً{30} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً{31} وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً{32} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً{33}** (سورة مريم: 29-33).

ومع ذلك أكثر اليهود فيه وفي أمه القول حيث كانوا يسمونه ابن البغية! مع أن العهد القديم بشر بالمسيح لكن لما بعثه الله إلى اليهود كفروا به وكذبوه واتهموه ثم حاربوه[2].

ولكنه السمو الذي يتحلى به الإسلام انتصاراً للحق في الدفاع عن السيد المسيح وأمه مريم - عليهما السلام - مما ألصق بهما اليهود زوراً وبهتاناً؛ لذلك أورد القرآن الكريم كل هذه الآيات في حق عيسى وأمه عليهما السلام .

فتلك مريم ذكرت في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة، في حين ذُكر المسيح u أكثر من خمسين مرة.

ومكانة "عيسى" u وأمه في الإسلام معروفة، لا يصح إيمان عبد إلا بالشهادة له، كما قال النبي ε : " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل."[3] .

---

(1) انظر بتوسع: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - 3 / 160، والمسيحية – د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية – ط 10 - 1993م – ص 34-37، محاضرات في النصرانية- محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي – ط 3 - 1381هـ 1966م - ص 14- 18.

(2) معالم النصر على اليهود - د. سعد المرصفى - مكتبة المنار الإسلامية - ط 1 - 1413هـ - 1978م - ص 52، بتصرف.

(3) رواه البخاري في الجامع الصحيح - محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق : د. مصطفى ديب البغا - تعليق د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة – بيروت – ط 3 – 1407هـ - 1987م - 3/ 1267- حديث رقم 3252.

وكما قال الله تعالى : {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** }(آل عمران:59) .

إن من رأى قدرة الله تعالى في خلق آدم u من تراب، ومن غير أب ولا أم، لا يتعجب من خلق عيسى من أم دون أب، فإن الذي خلق آدم من غير أب ولا أم، ثم خلق حواء من غير أم، قادر على أن يخلق عيسى من غير أب، وما العجب في ذلك؛ وقد تنوعت دلائل قدرته تعالى، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، ثم خلق حواء من ذكر دون أنثى، ثم خلق عيسى من أنثى دون ذكر، وخلقنا جميعاً من ذكر وأنثى، فتمت دلائل قدرته - سبحانه وتعالى- وذلك كله ليس بشيء إذا قيس إلى قدرته تعالى في خلق السماوات والأرض، كما قال: {**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** }(غافر :57)

ودلائل قدرته تعالى في سائر المخلوقات والأشياء : { **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً** }(فاطر: 44) .

وإن خلق عيسى من غير أب ليس بأعجب من خلقنا نحن من نطفة { **مِّن مَّاء مَّهِينٍ**}(المرسلات :20)؛ فسبحان الله { **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** }(سورة يس:36) إن خلق عيسى u من أنثى بلا ذكر معجزة إلهية، أراد الله تعالى أن يعلم بها بني إسرائيل –وغيرهم - أن قدرته لا تتوقف في الخلق على تزاوج ذكر وأنثى، كما لا تتوقف على الأسباب المادية، وإنما الله تعالى قادر على أن يخلق بأسباب، وبغير أسباب، بل وبضد الأسباب، فسبحان من أمره بين الكاف والنون { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{82} فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{83}**}(يس:82-83) .

المسألة الثانية : كيفية خلق عيسى عليه السلام :

أمر الله تعالى "جبريل الأمين" أن ينفخ في جيب درعها، وهو رقبة الثوب، ومدخل الرأس منه فنزلت النّفخة بإذن الله؛ فولجت رحمها؛ فصارت روحاً خلقها الله تعالى[1] ، وقد بيّن Y مبدأ خلق عيسى u فقال تعالى : {**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**}(الأنبياء:91)، ثم بيَّن تعالى أن النفخ وصل إلى الفرج، فقال Y : {**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا** }(التحريم :12).

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت – 1405هـ - 8 / 322، وتفسير ابن كثير – 1 / 784.

ودلَّ قوله تعالى : {**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً** }(مريم :19) على أن النافخ هو جبريل، وهو لا يفعل إلا بأمر الله .

وقد جاءت أقوال عن بعض المفسرين في مدة الحمل أنها لحظات، وهذا غير واضح ولا تدل عليه النصوص، ولو كان كذلك لكان آية في نفسه، ولأمكن أن يسلموا أنه ليس بالحمل العادي الذي تحمل به النساء، وبعده : لا يتهمونها بالزنى كما قالوا : { **يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً** }(مريم: 27)، وفيما يلي كلام لإمامين جليلين من أهل التفسير، أحدهما ممن مضى، وهو ابن كثير رحمه الله، والآخر من المعاصرين، وهو الشنقيطي رحمه الله، في بيان هذا الأمر .

1- قال الإمام ابن كثير رحمه الله : " اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى u فالمشهور عن الجمهور : أنها حملت به تسعة أشهر...، وقال ابن جريج : أخبرني المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفي سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال : لم يكن إلا أن حملت فوضعت، وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى : { **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً{22} فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ {23}(مريم : 22-23)**، فالفاء وإن كانت للترتيب للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى : { **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ{12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ{13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً ..{14}**}(المؤمنون : 12- 14)، فهذه الفاء للترتيب والتعقيب بحسبها وقد ثبت في الصحيحين " ما بين النفختين أربعون "[(1)]، وقال تعالى : {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** }(الحج :63)، فالمشهور الظاهر - والله على كل شيء قدير - أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم { **مَكَاناً قَصِيّاً** }(مريم: 22) أي : قاصياً منهم بعيداً عنهم؛ لــئلا تراهم ولا يروها،... وتوارت من الناس واتخذت { **مِن دُونِهِمْ حِجَاباً** }(مريم: 17) فلا يراها أحدٌ ولا تراه "[(2)] .

---

(1) البخاري : 4 / 1881 – حديث رقم 4651، ومسلم في صحيحه - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي – بيروت -4 / 2270 - حديث رقم 2955.

(2) تفسير ابن كثير : 3 / 157 .

2- وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : " وأقوال العلماء في قدر المدة التي حملت فيها مريم بعيسى قبل الوضع : لم نذكرها؛ لعدم دليل على شيءٍ منها، وأظهرها : أنه حمل كعادة حمل النساء، وإن كان منشؤه خارقاً للعادة، والله تعالى أعلم"(1) .

وقد استدل بعض الجهلة بقوله تعالى : { **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** }(ص :72،الحجر :29) على أن المسيح جزء من روح الله !!

وقد بين ابن القيم - رحمه الله - ضلال ذلك الاستدلال، فقال : " وأما استدلالهم بإضافتها إليه سبحانه بقوله تعالى : { **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** } فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان : صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه .

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره كبيت الله، وإن كانت البيوت كلها ملكاً له، وكذلك ناقة الله، والنوق كلها ملكه وخلقه، لكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته، حيث تقتضي خلقه وإيجاده فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد والخاصة تقتضي الاختيار، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه كما قال تعالى : {**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** }(القصص :68) وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة، لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضع فإنه يخلّصك من ضلالات كثيرة، وقع فيها من شاء الله من الناس"(2) .

فالخلاصة أنّ وصف عيسى u بأنّه روح الله هو من باب التشريف والتكريم لعيسى وهذه الإضافة – وهي - إضافة كلمة روح إلى لفظ الجلالة - ليست إضافة صفة إلى الموصوف كيد الله، ووجه الله وإنما هي إضافة المخلوق إلى خالقه كوصف الكعبة بأنها بيت الله، وأيضاً ناقة الله، ووصف المعجزة التي آتاها الله نبيه صالحاً عليه السلام بأنها ناقة الله .

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي - تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - 1415هـ - 1995م – 4 / 264.

(2) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة – ابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت – 1395هـ - 1975م - ص 154.

المسألة الثالثة : موقف القرآن من مولد عيسى u :

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى رسله من بين خلقه، وذلك الاصطفاء يقتضي أن يكون الرسول أشرف الناس نسباً وأطهرهم قلباً، وأزكاهم نفساً، وأرجحهم عقلاً، بحيث يخلو من أي خلل ينتقص به أو أمر يعاب عليه.

وحديث القرآن الكريم عن مريم - وهي أم رسول ونبي من أنبياء الله تعالى - حديث مفعم بالأدب، فقد تحدث عن عفتها وبراءتها التامة مما رماها به اليهود.

أما عن الاصطفاء والطهارة فقد قال تعالى: {**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ** }(آل عمران :42) .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ε : " كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، خديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[1]. وأما عن عفتها وبراءتها من الفاحشة فقد قال تعالى : {**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** }(التحريم :12).

وقال أيضا : { **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ** }(الأنبياء :91) .

وقد لعن الله تعالى اليهود بكفرهم وافترائهم على مريم البهتان، فقال : {**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً** } (النساء: 156) فقد استحقوا اللعنة بكفرهم وافترائهم على السيدة العذراء بهتاناً عظيماً، وهو الزنا.

المطلب الثاني : دعوة عيسى u **في القرآن الكريم** :

علم الله تعالى المسيح u التوراة، وآتاه الكتاب والحكمة والنبوة، وبعثه نبياً على رأس ثلاثين من عمره، كما جرى على ذلك علماؤنا فيما يخص عيسى، وإن قالوا بالنبوة بعد الأربعين لغيره.

لقد جاء المسيح فدعا إلى التوحيد الخالص، وإلى الإيمان باليوم الآخر، وهذا ما قرره القرآن الكريم، قال الله تعالى على لسان عيسى: {**إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**}(آل عمران: 51).

---

(1) أخرجه البخاري – 3 / 1252 - حديث رقم 3230، ومسلم – 4 / 1886 - حديث رقم 2431.

كما قال أيضاً:{ **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** }(المائدة: 72) وكان من معجزاته (إحياء الموتى) لهذا المعنى، وهو الإيمان بالآخرة التي أنكرها اليهود أو تناسوها، ولمحاربة المادية اليهودية حيث عكف اليهود على المادة؛ فاستغرقتهم واستولت على أهوائهم ومشاعرهم.

كما كان من أصول دعوته: التبشير برسول يأتي من بعده، والتبشير بدينه، كما قال تعالى: {**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**}(الصف: 6) والذي عبر عنه عيسى - كما في الإنجيل- باقتراب ملكوت السماوات[1].

وأما رسالته فكما قال تعالى: {**مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**}(سورة المائدة:75) وقال تعالى: {**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً** } (مريم: 30) وقال : {**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ** }(آل عمران: 49) فالقرآن أثبت أنه رسول، وأن ما جاء به وحي، وبالتالي فالكفر به كفر بجميع الأنبياء والمرسلين[2].

ولقد نص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل، التوحيد بكل شعبه، التوحيد في العبادة فلا يعبد إلا الله، والتوحيد في التكوين، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له، والتوحيد في الذات والصفات، فليست ذاته بمركبة، وإنما منزه عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى.

فالقرآن الكريم أثبت أن عيسى لم يدعُ إلا إلى التوحيد الكامل؛ بدليل جواب عيسى ربَّه يوم القيامة حيث قال الله تعالى : { **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ{116} مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{117}**}(المائدة: 116-117)

فهذا نص يفيد بصراحة أن عيسى- u - لم يدعُ إلا إلى التوحيد، وما كان عيسى إلا رسول الله رب العالمين.

---

(1) إنجيل متى 3 / 2.

(2) انظر : شرح العقيدة الطحاوية - المكتب الإسلامي – بيروت – ط 4 - 1391هـ - ص 237 .

ولقد نزل على السيد المسيح u كتاب مبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، ألا وهو الإنجيل، وهو مصدق للتوراة، ومحيي لشريعتها، ومؤيد للصحيح من أحكامها، وهو مشـتمل على هدى ونور، كما أنه موعظة للمتقين؛ لذا كان على أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، ولذلك قال الله تعالى: {**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** }(المائدة: 47) ، ومن الحكم بما أنزل الله فـي الإنجيـل: الإيمـان بالرسول المبَّشر به محمدٍ ε .

ولقد كانت دعوة المسيح u تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولا بين العابد والمعبود، فالأحبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس، بل على كل مؤمن بوحدانية الله تعالى وبشرية المسيح ورسالته إلى بني إسرائيل كان يعبد الله تعالى من غيـر حاجة إلى توسط مخلوق سواء أكان كاهناً أم قسيساً أم غيرهما، مهما كانت منزلته أو قداسته أو تقواه، وسيطاً بين العبد والرب في عبادته، وأن يعرف أحكام شرعه من التوراة وما أنزل الله على عيسى من كتاب، وما أثر عنه من وصايا، وما اقترنـت بـه بعثتـه مـن أقـوال ومواعظ[1].

المطلب الثالث : موقف اليهود من دعوة عيسى u :

تلك التعاليم والمبادئ التي نادى بها المسيح وأعلنها في بني إسرائيل، مثلـت اتجاهـاً معاكساً لكثير مما كان عليه القوم من تعاليم وأفكار وقيم.

وبما أن دعوات الحق المعلنة وسط مجتمع قائم على الصراع والاستغلال تجـد دائمـاً مـن يناوئها، ويسعى في مقاومتها واستئصال شأفتها، خاصة أولئك الذين تسلبهم تلك الدعوة متكآت الاستغلال والسيطرة والنفوذ، حيث تكشف زيف أعمالهم؛ فتسفر عن قبح وجوههم، وتجلـي خبث طويتهم.

ولما كانت دعوة عيسى u واحدة من دعوات الحق؛ فقد شكلت خطـراً علـى قـوى الاستغلال اليهودي فدخلوا معها في معركة من أخطر المعارك التاريخية التي تعرضت لهـا دعوات الحق، كما نال عيسى في تلك المعركة ما ناله، وكذا دعوته وأتباعه.

ولما كانت دعوة عيسى u تمنع أولئك اليهود من السلطان الكاذب، وذلـك بكشـف زيفهـم وريائهم، كما كانت رادة لهم عن الشره المادي المستنـزف لأموال الناس باسم الدين والهيكل،

(1) انظر : محاضرات في النصرانية - لأبي زهرة - ص 12- 13، بتصرف.

ملأ الخوف قلوبهم وخاصة لما أعلن المسيح تجريد بني إسرائيل من ميراثهم بقوله: " أقــول لكم إن ملكوت الله ينــزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره "[1] .

وبذلك الإعلان وبقبول بعض الأفراد تلك الدعوة وجهت الحرب للداعي والمعلم المســيح u بصور متنوعة.

كما كانت دعوة المسيح u تحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود، هما :

1- شغفهم بالمادة وإهمالهم الناحية الروحية فيهم.

2- ادعاؤهم أنهم شعب الله المختار، وادعاء أحبارهم الصلة بين الله والناس، حيث بدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق.

ولقد اشتد ارتياع اليهود وغضبهم عندما شهدوا المسيح u يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات، إذ يعلم الناس أن الله ليس من المساومين، وأن ليس هناك شعباً مختاراً، وأن لا أحظياء في مملكة السماء، وأن الله هو الرب المحب لكل أجناس البشر، وأنــه لا يخــص جنساً برعاية دون الآخر؛ فالخلق عنده سواء.

وبسبب هذا الموقف؛ تعرض عيسى إلى عداء بني إسرائيل وسخطهم، فلم يؤمن به إلا قليلون منهم، فقد انتظروه مسيحاً يبسط سلطان بني إسرائيل على العالم أجمع، ولكن خابــت آمالهم فيه؛ عندما رأوا أن بعض الضعفاء اتبعوه، وعندما رأوا أن دعوته تتجه ضد الكهنــة؛ خافوا أن تنتشر مبادئه، فأغروا به الحاكم الروماني، ولكن الرومانيين كانوا وثنيين ولم يكونوا على استعداد للدخول في الخلافات الدينية بين اليهود، ولم تكن دعوة المسيح التي أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة، ولم تمس الحكومة من قريب أو بعيد؛ ولذلك لم يستحق غضب الرومان، ولكن اليهود تتبعوا عيسى لعلهم يجدون منه سقطة تثيــر عليــه غضب الرومان، فلما لما يجدوا؛ تقولوا عليه وكذبوا؛ فأغضبوا الحاكم الروماني على عيسى؛ فأصدر أمره بالقبض عليه، ثمحكم عليه بالإعدام صلباً. وكان الكهنــة وغوغــاء أورشــليم المتمسكون بعقيدتهم السابقة أكبر المتهمين ليسوع[2] .

لقد عانى السيد المسيح أشد عناء من طوائف اليهود، ومع الخلاف بين هذه الطوائــف (الكهنة والفريسيون والصدّيقيون) فإنهم جميعاً اتفقوا على محاربة دعوة المسيح والوقوف منها

---

(1) إنجيل متى 21 / 43 .

(2) المسيحية – د. أحمد شلبي - ص46-47، بتصرف.

موقف هجوم وصراع، ولذلك هاجمهم السيد المسيح عدة مرات، وأبـرز انحـلال أخلاقهـم وبعدهم عن جادة الصواب، ومن بين ما قال لهم في هذا المجال:-

- " طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا؛ لأن أجركم عظيم في السموات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم "[1] .

- احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة[2].

- يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنـتم أشـرار؟... جيـل شـرير وفاسق![3].

- لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون؛ لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل؛ ولعلة تطيلون صلواتكم؛ لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكـم أيهـا الكتبة والفريسيون المراؤون؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومتى حصل تصنعونه إبنا لجهنم أكثر منكم مضاعفاً [4].

المطلب الرابع : رفع عيسى u إلى السماء :

يعتقد المسلمون بما تضمنته الآيات والأحاديث المتواترة : أن المسيح عيسى u رفعه الله تعالى إلى السماء، وأنه باقٍ حياً فيها إلى قرب قيام الساعة، إذ سينزل إلـى الأرض فيقتـل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويحكم بالشريعة المحمدية، ثم يموت – u – كسـائر البشر.

1- الآيات الدالة على رفع عيسى u :

أ- قال تعالى رداً على من ادعى قتل المسيح u : { **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَـا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً{157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّـهُ عَزِيـزاً حَكِيماً{158}**}(النساء:158،157) ففي هاتين الآيتين بيان أن الله رفعه حياً؛ فسلمه من القتل، والآيات قد بينت أنه رفع ببدنه وروحه، كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه، إذاً لو أُريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل مات...

(1) إنجيل متى 11، 12.

(2) إنجيل متى7 / 15.

(3) إنجيل متى 12 / 34،39

(4) إنجيل متى 23 / 15،14،13.

قال صاحب كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح : " وأما رفع عيسى عليه السلام فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنه رفع ببدنه حياً وإنما اختلفوا هل مات قبل أن يرفع؟ أم نام فرفع؟ وقال في فتح الباري من باب ذكر إدريس إن عيسى رفع وهو حي على الصحيح"[1]، **ويوضحه**:

ب- قوله تعالى { **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** }[آل عمران:55].

ومعنى ذلك : إني قابضك من الأرض فرافعك إليَّ، ومعنى الوفاة القبض لما يقال توفيت من فلان ما لي عليه بمعنى : قبضته واستوفيته .

فمعنى قوله : { **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ** } **أي** : قابضك من الأرض حياً إلى جواري وآخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك.

قال كعب الأحبار : وذلك يصدق حديث رسول الله ε حيث قال : " كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها؟ "[2] .

فقوله تعالى : { **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** } **أي** : قابضك من غير موت وافياً تاماً، أي : لم ينالوا منك شيئاً { **وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** } أي : إلى سمائي ومحل كرامتي فجعل ذلك رفعاً إليه؛ للتفخيم والتعظيم كقوله : {**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ** }(الصافات :99)، وإنما ذهب إلى الشام والمعنى : إلى أمر ربي { **وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** } **أي** : مخرجك من بينهم { **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ** } وهم أهل الإسلام من هذه الأمة اتبعوا دين المسيح وصدقوه بأنه رسول الله فوالله ما اتبعه من دعاه رباً { **فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا** } بالبرهان والحجة والعز والغلبة[3].

قال الإمام ابن تيمية رداً على من ادعى موته : " فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت، لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين، فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله: { **وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** }

---

(1) لتصريح بما تواتر في نزول المسيح - الإمام المحدث محمد أنور شاه الكشميري الهندي - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - 1402هـ - 1982م - ص 62 .

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - 3 / 289- 290.

(3) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : علي بن أحمد الواحدي - ت: صفوان عدنان داوودي - دار القلم- الدار الشامية - دمشق - بيروت – 1415هـ - ط 1 – 1 / 213.

ولو كانت قد فارقت روحه جسده، لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء"[1].

2- الأحاديث الدالة على رفع عيسى u :

لا يخفى على كل منصف أن نزول عيسى ابن مريم u إلى الأرض حكماً مقسطاً بذاته الشريفة ثابت بالأحاديث الصحيحة في السنة المطهرة، وأنه الآن حي في السماء لم يمت بيقين، ومن هذه الأحاديث :

أ- قال ε كما في حديث أبي هريرة عند مسلم: " والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص[2]؛ فلا يُسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليَدعُوَنَّ (وليُدعَوُنَّ) إلى المال فلا يقبله أحد "[3] .

فالنبي ε قد بين أن عيسى u سينزل آخر الزمان حَكَماً عدلاً يحكم بشريعة محمد ε، وذلك من علامات الساعة الكبرى.

ب- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - ε - : " : **كيف أنتم** إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟ "[4] الحديث.

فمن زعم أن عيسى u قُتِل أو صُلِب؛ فهو كافر مرتد، حلال دمه وماله، لتكذيبه القرآن وخلافه الإجماع، وهذا ما نص عليه أبو محمد بن حزم[5].

فثبت بهذا : أن عيسى u رفع حياً وتدل على ما ذكرناه الأحاديث الصحيحة المتواترة المذكورة[6]، المصرحة بنزوله بذاته الشريفة، التي لا تحتمل التأويل.

3- إجماع علماء المسلمين على رفع عيسى u :

نقل الإجماع على ذلك ابن عطية رحمه الله إذ قال في تفسيره المحرر الوجيز : " أجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حي، وأنه سينزل في

---

(1) مجموع الفتاوى - ابن تيمية – 4 / 322.

(2) ولتتركن القلاص : القلاص جمع قلوص، وهي من الإبل، كالفتاة من النساء، والحدث من الرجال، ومعناه : أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب .

(3) رواه مسلم – 1 / 135 – حديث رقم 155.

(4) رواه مسلم – 1 / 135 – حديث رقم 155.

(5) المحلى- ابن حزم الظاهري- تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي- دار الآفاق الجديدة –بيروت – 1 / 23.

(6) انظر : أدلة السنة النبوية على نزول عيسى u ص : 13 .

آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض المال، وتظهر به الملة– ملة محمد ε، – ويحج البيت، ويبقى في الأرض أربعاً وعشرين سنة، وقيل أربعين سنة"[1].

وقال السفاريني في كتابه لوامع الأنوار : " فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه سينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء "[2].

وقال صاحب كتاب عون المعبود : " تواترت الأخبار عن النبي ε في نزول عيسى بن مريم ε من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة "[3] .

قال الشوكاني : " وهكذا ثبت في الأناجيل كلها أن الله سبحانه رفع عيسى u بعد الصلب في زعمهم كما هو محرر هنالك ولا يخالف في ذلك أحد من النصارى، وقد نطق القرآن الكريم بأنه رفعه إليه، ولم يصلب وإلى ذلك ذهبت بعض طوائف النصارى، والحاصل أن رفعه إلى السماء متفق عليه بين جميع المسلمين وجميع النصارى ولم يقع الخلاف بينهم إلا في كونه رفع قبل الصلب أو بعده "[4].

وكلام أهل العلم في هذا مستفيض، ولولا خشية الإطالة ورغبتي أن يكون هذا البحث مختصراً؛ لحشدت من تلك النقولات الشيء الكثير[5].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - لبنان - ط 1 - 1413هـ- 1993م – 1 /444 .

(2) لوامع الأنوار البهية – محمد السفاريني الحنبلي – المكتب الإسلامي – بيروت – دار الخاني – الرياض – ط 3 – 1411هـ - 1991م - 2/94-95 .

(3) عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية – بيروت – ط 2– 1415هـ - 11/307 .

(4) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات - محمد بن علي الشوكاني – ت : جماعة من العلماء - دار الكتب العلمية - بيروت – ط 1 – 1984م – ص 58 – 59 .

(5) يراجع للأهمية كتابا: التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح - الشوكاني، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح - الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي - تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - ط مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب .

المبحث الثاني

نزول عيسى u من السماء إلى الأرض آخر الزمان

المطلب الأول : أدلة نزول عيسى من القرآن الكريم والسنة:

دلت الآيات الكريمة على أن نبي الله عيسى u رفع من الأرض إلى السماء بروحه وجسده؛ عندما أراد اليهود قتله وصلبه فلم يمكنهم الله منه، كما دلت كذلك على أنه سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة.

وجاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي - ε – تؤكد هذا المعنى، وتبينه بأفصح عبارة، وأظهر بيان، وأنه سينزل بمشيئة الله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، حاكماً بشريعة محمد - ε – لا ناسخاً لها، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية فلا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ويفيض المال، وتنزل البركات والخيرات.

أولاً : أدلة القرآن الكريم على نزول عيسى:

إن الآيات في كتاب الله قد دلت على نزول نبي الله عيسى u من السماء، وقد بين العلماء أن نزوله بروحه وجسده، ومن هذه الآيات :

الآية الأولى : قوله تعالى : {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً }(النساء: 159) فقد دلت الآية على أنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وسيؤمن بعيسى u عبداً لله ورسولاً من عنده، وذلك سيكون قبل موت عيسى، ومعلوم أن ذلك لم يقع حتى الآن، مما يعني: أنه سوف يقع فيما نستقبله من الزمان؛ لأن الآية جاءت في سياق تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليمه.

والآية صريحة في أن عيسى u حيّ وقت نزول آية النساء هذه، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب، وأهل الكتاب ليسوا فقط النصارى بل هم على إطلاق القرآن : اليهود والنصارى، واليهود حاربوه وطاردوه ولم يؤمنوا به بل سعوا إلى قتله وظنهم أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم رسول الله. ودلالة ذلك من وجوه:

1- أن هذا المعنى هو ظاهر القرآن المتبادر.

2- أنه السياق المتسق وعليه تنسجم الضمائر بعضها مع بعض ـ كما قال صاحب أضواء البيان[1] - ففي قوله تعالى : { **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا**

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي – 7 / 129 -130.

قَتَلُوهُ - أي عيسى - **وَمَا صَلَبُوهُ** - أي عيسى - **وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ** - أي عيسى - **وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ** – أي في عيسى- **لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ** – أي من عيسى - **مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ** - أي عيسى- **إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً** - أي عيسى - **{157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ**- أي عيسى - **وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً{158} وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ** - أي بعيسى- **قَبْلَ مَوْتِهِ** – أي موت عيسى- **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً{159}**(النساء : 157 – 159)، فالضمائر كلها في الآيات منسجمة ترجع إلى عيسى u، فمدلول السياق مع انسجام الضمائر تتسق مع الظاهر المتبادر فكان المراد أن عيسى حيّ الآن.

3- أن الضمير في هذه الآيات مفسر ملفوظ مصرح به في قوله تعالى : { **إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ** }(النساء :157) فالتأويل بغيره بعيد[1].

4- أن السنة المتواترة تشهد بصحة هذا التأويل، ومع توافق القرآن والسنة لا انحراف عنهما البتة، ولهذا لما روى أبو هريرة حديث البخاري من قوله ε : " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ". ثم يقول أبو هريرة واقرأُوا إن شئتم { **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** }(النساء: 159)[2].

5- أنه مما جزم به أئمة التفسير ابن عباس فيما صح عنه والحسن وهو المنقول عن أكثر أهل العلم[3].

فهذه الوجوه كلها تؤكد أن عيسى u حيّ لم يمت بعد حتى ينزل فيؤمن به أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

الآية الثانية : قوله تعالى : {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ }(الزخرف 61) فإن الآيات قبلها كانت تتحدث عن عيسى u، ولذا فإن الضمير في هذه الآية يعود إليه، فيكون خروجه من علامات الساعة وأماراتها؛ لأنه سينزل قبيل قيامها، ومما يدل على ذلك القراءة الأخرى { **وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ** } بفتح العين واللام أي : علامة وأمارة، وهي مروية عن : ابن عباس و مجاهد وغيرهما من أئمة التفسير.

---

(1) المصدر السابق :7/ 130.

(2) رواه البخاري – 3 / 1272 – حديث رقم 3264 .

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار المعرفة - بيروت - 1379هـ - 6 / 568.

فالآية من الدلائل الواضحة في نزول عيسى u آخر الزمان، وقد نصّ على ذلك أئمة التفسير، فصحّ عن ابن عباس بطرق عدة، وعن أبي هريرة، وعن الحسن وقتادة والسدي والضحاك وأبي مالك وعوف وابن زيد وأبي العالية وعكرمة، أن نزول عيسى u قبل يوم القيامة أمارة ودليل على وشوك وقوع الساعة[1] .

الآية الثالثة : قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ}(آل عمران 46)

وفي هذه الآية عدَّدَ الله تعالى بعض خصائص عيسى ودلائل نبوته، فكان منها كلامه في المهد وهو رضيع، وكلام الرضيع من الخوارق الدالة على النبوة ولا شك، كما ذكر منها كلامه وهو كهل، والكهولة سن بداية ظهور الشيب، فما هو وجه كون كلامه وهو كهل من الآيات، والكلام من الكهل أمر مألوف معتاد ؟! وكيف يحسن الإخبار به لا سيما في مقام البشارة ؟! لا بد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً، وتلك الحالة لم تقع فيما مضى من حياته التي كان فيها بين الناس لأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فلم يبق إلا أن تلك الخصيصة ستتحقق فيما يستقبل من الزمان، ويكون المعنى : أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل، ثم سينزل فيبقى في الأرض أربعين سنة - كما ثبت في الحديث - إلى أن يكتهل، فيكلم الناس كهلاً كما كلمهم طفلاً، وتتحقق له تلك الآية والمعجزة التي أخبر الله عنها في كتابه .

فالآية لها من الدلالة على نزول عيسى u ما يجعل المسلم يطمئن إليه، فإنّ عيسى u لم يكن قد بلغ الكهولة حين رفعه الله إليه، مما يدلّ على أنه لا بدّ أن يكتهل فيبلغ الكهولة، مما يقتضي نزوله إلى الأرض ليكتهل ثم يموت، قال الحسين بن الفضل: " في هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض "[2] ولما سئل رحمه الله هل تجدون نزول عيسى في القرآن ؟قال نعم قوله تعالى {**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**}(آل عمران :46) وهو لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه { **وَكَهْلاً** } بعد نزوله من السماء[3].

بل هي آية ناطقة بمعجزة الله في عيسى u، ولا يمكن أن يكون كلامه حين يبلغ الثلاثين أو يكتمل عقله معجزة؛ لأنه حال كل الناس فلم يختص ذلك بعيسى حتى يمن الله به

---

(1) راجع تفسير الطبري - 20 /631-633، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي – 16 / 96-98، وتفسير ابن كثير 4 / 134 - 135.

(2) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي - دار الكتب العلمية – بيروت – ط 1 - 1421هـ - 2000م - 46/8 .

(3) تفسير البغوي - دار المعرفة – بيروت – ت : خالد عبد الرحمن العك - 308/1 .

على مريم عليها السلام، إذنْ فالمناسب مع كون كلامه كهلاً معجزة أن يكون ذلك بعد نزوله من السماء في آخر الزمان. وهذا هو قول أبي عبد الرحمن السلمي في تفسيره، وأبي زيد، كما نقل عنه : الطبري والحسين بن الفضل، والبيضاوي والكلبي وترجيح الألوسي، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

الآية الرابعة : ومن هذه الآيات قول الله جل وعلا : {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ }(آل عمران 55) .

فقد ذكر المفسرون ثلاثة أقوال في المراد بالتوفي في هذه الآية:

الأول : قول الجمهور وقد رجحه ابن كثير وهو أن المراد به توفي النوم، فكلمة الوفاة كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضاً.

الثاني : إن في الكلام تقديماً وتأخيراً والتقدير (إني رافعك ومتوفيك) أي بعد النزول وهذا القول منسوب إلى قتادة.

الثالث : إن المراد بالتوفي هو نفس الرفع، والمعنى : (إني قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك) وهذا رأي ابن جرير.

وجميع هذه الأقوال كما ترى متفقة على أنه رفع حياً، وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما قوله تعالى : { **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** }(آل عمران 55)، فهذا دليل على أنه لم يَعْنِ بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين، فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله { **وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** }، فلو كانت قد فارقت روحه جسده؛ لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء .

وقد قال تعالى في الآية الأخرى : { **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً{157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ {158}**}(النساء 157- 158).

فقوله هنا : { **بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ** } يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه سينزل ببدنه وروحه، إذ لو أريد موته لقال : وما قتلوه وما صلبوه، بل مات ..."[2] .

---

(1) راجع: تفسير السلمي وهو حقائق التفسير - محمد بن الحسين الأزدي السلمي – ت : سيد عمران - دار الكتب العلمية – لبنان - بيروت – ط 1 - 1421هـ - 2001م - 100/1، والطبري290/3، وتفسير البيضاوي - دار الفكر – بيروت - 2/ 40 - 41، البغوي302/1 .

(2) مجموع الفتاوى - ابن تيمية - 4 / 322- 323 .

وحياته u بعد رفعه لا يلزم منها أن تكون كحياة من على الأرض في احتياجه إلـــى الطعام والشراب، وخضوعه للسنن والنواميس الكونية كسائر الأحياء، وإنما هي حياة خاصة عند الله Y .

فالقرآن إذنْ قد نبَّه إلى نزول عيسى u، وهذه الآيات واضحة الدلالة على المطلوب، فلا يمترن بها أحد بما يساق من الشبهات، ولنقطع الأمر بأدلة من السنة النبوية كما يلي:

ثانياً : أدلة السنة النبوية على نزول عيسى u :

الأحاديث الواردة في نزول عيسى u كثيرة جداً، فعشرات الأحاديث مروية عن رسول الله ε في سائر كتب الحديث، ومعروفة عند أهل العلم بالحديث، بل المشـــهور عـــنهم أنهـــا أحاديث متواترة، والمتواتر من الحديث ــ لفظياً كان أم معنوياً ــ عند من له علم بالحـــديث وعلم الأصول يجب العمل به من غير بحث عن رجاله . بل مذهب جماهير أئمة الـــدين أن الحديث إذا صح وتلقته الأمة بالقبول؛ قُطع به؛ فصار قطعياً، وهو مذهب القاضي عبد الوهاب البغدادي، وأبي حامد الاسفراييني والقاضي أبي الطيب الطبري، وأبي إســـحاق الشـــيرازي، وابن حامد، وأبي يعلى بن الفراء، وأبي الخطاب، وابن الزاغوني، وشمس الأئمة السرخسي، وابن فورك، بل هو مذهب أهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة[(1)] .

وأحاديث نزول عيسى أقلها أنها من ذلك النوع، فأنّى لأي واحد أن يرد تلك الأحاديث؟ أو يعمل فيها بإضعافها ؟ هذا ليس في استطاعته إلاّ إذا ادعى وتجرأ وافتأت ورد وأنكر من غير علم ولا هدى . ولابد أن يعلم الناس أنّ من ردّ الحديث الصحيح كمن نسب إلى رسول الله ε الحديث الموضوع، ومن أنكر المتواتر لا يستحق صحبة ولا حرمة ناهيك عن الزعامة والإمامة.

فأحاديث نزول عيسى u قطعية بمجموعها، لا يقدر أحد أن يردها، خاصة لو علم أن الكلام في رجال بعض النصوص لا ينفي تواتر تلك الأحاديث والقاعدة الحديثية : أن ما تواتر لا يبحث عن رجاله، فهلا تراجع أولئك الذين يردون أحاديث نزول عيسى u، ولا يكون ذلك إلا من المتقين !!!.

قال ابن كثير " تواترت الأحاديث عن رسول الله ε أنه أخبر بنزول عيسىu قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً "[(2)].

---

(1) الباعث الحثيث - 34.

(2) تفسير ابن كثير – 4 / 167 .

وأحاديث نزول عيسى على التفصيل : منها ما ورد في الصحيحين باتفاق، ومنها ما ورد في صحيح البخاري، ومنها ما ورد في صحيح مسلم، ومنها ما أخرجه أهل الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم وغيرها.

فمن الأحاديث التي أخرجها الشيخان في صحيحيهما:

1- قول النبي ε : " والذي نفسي بيده ليوشكن[1] أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً[2] مقسطاً[3]، فيكسر الصليب[4]، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[5]، ويفيض[6] المال، حتى لا يقبله أحد"[7] .

2- قوله ε : " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟ "[8] .

3- قوله ε : " لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد "[9].

4- قوله ε : " والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتُتركن القلاص فلا يُسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد "[10].

5- قوله ε : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم ε فيقول أميرهم: " تعال صل لنا" فيقول: لا إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة "[1].

---

(1) ليوشكن : ليقربن وليسرعن .

(2) حكماً : أي حاكماً بهذه الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة .

(3) مقسطاً : المقسط العادل يقال أقسط إقساطاً فهو مقسط إذا عدل، والقسط العدل وقسط يقسط قسطا، فهو قاسط إذا جار.

(4) فيكسر الصليب : معناه : يكسره حقيقة، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه .

(5) أي لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل الجزية منهم لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل .

(6) يفيض : يكثر ويستغني كل واحد من الناس بما في يده .

(7) رواه البخاري – 2 / 774 – حديث رقم – 2109، ومسلم – 1 / 135 - حديث رقم – 155.

(8) رواه البخاري – 3 / 1272 – حديث رقم 3265، ورواه مسلم – 1 / 135 – حديث رقم 155.

(9) رواه البخاري – 2 / 875 – حديث رقم 2344 .

(10) رواه مسلم – 135 – حديث رقم 155.

6- قوله ε : " يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين...، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنــه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه..."[2].

ومن الأحاديث التي أخرجها أصحاب السنن:

7- ما في سنن أبي داود من حديث النواس بن سمعان أن النبي ε ذكر الدجال فقــال: " إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم...، إلى أن قال: ثم ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد[3] فيقتله "[4].

8- وعند أبي داود أيضاً " ليس بيني وبينه ــ أي : عيسى ــ نبي وإنه نازل فإذا رأيتمــوه؛ فاعرفوه... "[5].

9- وعند ابن ماجة في قصة الدجال قال: " إذ بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المنــارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين .. "[6].

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة اكتفينا بذكر ما تقدم منها.

فكل هذه الأحاديث التي في الصحاح والسنن كيف سيردها من يردها يا ترى؟ وبأي علم سيردها ؟ هل سيقول كما قال الجهمية والمعتزلة : نردها لمخالفتها ظاهر القرآن ؟ أم عنــده من علم اختص به يرد به ما صح عن رسول الله ε ؟. فإن ردّ الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله ε بدعوى المعارضة لظاهر القرآن لا سيما أحاديث نزول عيسى هذه ردّ للثابــت الصحيح دون نظر ثاقب ولا دراسة وافية؛ مما يدلّ على انكباب المرء على وجهه والتربــع

---

(1) رواه مسلم – 137 – حديث رقم 156، وابن حبان في صحيحه – 15 / 231 – حديث رقم 6819، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(2) رواه مسلم – 4 / 2258 – حديث رقم 2940، وأحمد في المسند – 2 / 166، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير النعمان بن سالم ويعقوب بن عاصم فمن رجال مسلم .

(3) باب لُدّ : موضع بالشام، وقيل : بفلَسْطين، واللد: مدينة فلسطينة قرب مدينة الرملة من نــواحي البيــت المقدس، بها جامع يجمع خلقاً كثيراً، وبها كنيسة عجيبة على بابها يقتل عيسى υ الدجال، انظر: بلدانيــة فلسطين العربية - الآب أ.س. مرمرجي الدومنكي – عالم الكتب – ط1 – 1407هــــ - 1987م – ص 299-300، ومعجم البلدان - ياقوت الحموي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي – ط1- 1410هــ - 1990م – 17/5.

(4) رواه أبو داود – 2 / 520 - حديث رقم 4321، قال الشيخ الألباني : صحيح .

(5) رواه أبو داود – 2 / 520 – حديث رقم 4324، قال الشيخ الألباني : صحيح .

(6) سنن ابن ماجة – 2 / 1356 – حديث رقم 4075، قال الشيخ الألباني : صحيح .

على أرائك الخطل وافتراش الزلل، والإصرار على مناهج الجهالة والسير علـى مـذاهب الضلالة والبيات على وسائد الفتنة في الدين، نعوذ بالله أن يجعل مصيبتنا في ديننا.

فلا تعارض بين هذه النصوص، ولذلك فإن نزول عيسى u لا يمنعه الشرع، بل يقره، فقد دلَّ عليه القرآن الكريم، ونص عليه حديث الرسول المعصوم ε، ومن لم يهده الله؛ فلـن تجد له ولياً مرشداً.

المطلب الثاني: شبهات حول أحاديث نزول عيسى u :

تعرضت أحاديث نزول عيسى u - كما تعرض غيرها - للهجوم والنقـد مـن قبـل بعضهم؛ لأنها لم ترق لهم، محتجين بحجج واهية، وشبه ساقطة، حيث ادعوا : أنه ليس فـي القرآن نص صريح في رفعه إلى السماء بروحه وجسده، كما ليس فيه نص صريح أيضاً على نزوله .

كما أن الأحاديث الواردة في نزوله لم تبلغ درجة التواتر؛ كي يُؤخذ منها عقيدة بنزوله، وإنما هي أحاديث آحاد مضطربة في متونها، منكرة في معانيها، في معظمها يشتد ضـعف الرواة؛ وعليه فلا يجب على المسلم أن يعتقد ذلك، وإنما تلك عقيدة النصارى.

شبهات منكري نزول عيسى u ثم الرد عليها :

ساق منكرو نزول عيسى u ذات الشبهات التي ساقها الجهمية والمعتزلة ومن وافقهـم وهي تتلخص في ثلاث آيات، وحديث (لا نبيّ بعدي) وردّ الأحاديث الواردة في نزول عيسى u، وبعض الشكوك والأوهام ، وسأدفعها واحداً تلو واحد .

الشبهة الأولى : قوله تعالى : {**إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِـنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** }(آل عمران :55). واعتمادهم على قوله { **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** } حيث فسروا الوفـاة بمعنى : الموت.

والرد على هذه الشبهة : أن التوفي يطلق على ثلاثة معان كلها من اطلاقات القـرآن، فالتوفي بمعنى الإماتة، والتوفي بمعنى النوم كما في قوله تعالى : {**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** }(الأنعام :60)، والتوفي بمعنى الحيازة والقبض من غير نقص، كما في قوله تعالى : { **ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** }(البقرة :281). والتـرجيح لغير توفي الموت يتمثل في التالي:-

1- ما عليه جماهير المفسرين، فقد رجح أن عيسى حي لم يمت في تفسير هذه الآيــة مــن أصحاب التفسير: شيخ المفسرين الطبري[1]، وقد صـــححه القرطبـــي[2]، وابـــن كثيـــر[3]، والرازي[4]، وأبو السعود[5]، والزمخشري[6]، والبيضاوي[7]، والبغوي[8]، والثعلبي[9]،وابـــن الجوزي[10] والشوكاني[11] والعز بن عبد السلام في تفسيره[12] والشـــنقيطي فـــي أضـــواء البيان[13] وابن تيمية في دقائق التفسير[14]. ومن أئمة التفسير من الصحابة والتـــابعين لهـــم بإحسان: ابن عباس في الصحيح عنه، والحسن بن علي والحسن البصري وقتـــادة ومطـــر الوراق وكعب الأحبار وسعيد بن المسيب وابن جريج والكلبي ومقاتل بن سليمان والربيع بن أنس والضحاك والحسين بن الفضل وثابت البناني وابن زيد والسدي[15] .

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الطبري – 3 / 287 .

(2) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي – 4 / 100.

(3) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير – 1 / 487.

(4) التفسير الكبير – الرازي – دار الكتب العلمية – بيروت – 1421هـ - 2000م – ط 1 – 8 / 60 .

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - دار إحياء التـــراث العربي – بيروت – 2 / 43.

(6) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشـــري الخوارزمي - ت: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت - 1 / 180 – 181.

(7) تفسير البيضاوي – البيضاوي – ص 54.

(8) معالم التنزيل – البغوي – ص 45.

(9) تفسير الثعلبي – أبو إسحاق الثعلبي – ت: الإمام أبي محمد بن عاشور – دار إحياء التراث العربـــي – بيروت – لبنان – ط 1 – 1422هـ - 2002م – 3 / 0 – 81 .

(10) زاد المسير في علم التفسير - عبد الرحمن بن الجوزي - المكتـــب الإســـلامي – بيـــروت – ط 3 – 1404هـ - 1 / 396.

(11) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي الشوكاني – 1 / 521 .

(12) تفسير العز ابن عبد السلام – ت: عبدالله بن إبراهيم الوهبي – دار ابـــن حـــزم – بيـــروت – ط 1 - 1416هـ - 1996م – 1 / 264.

(13) أضواء البيان – محمد الأمين الشنقيطي – 7 / 133.

(14) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية - ابن تيمية - تحقيق : د. محمد السيد الجليند - مؤسسة علوم القرآن – دمشق – ط 2 - 1404هـ - 2 / 96.

(15) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري – 3 / 287، والدر المنثـــور - جلال الدين السيوطي - دار الفكر - بيروت – 1993م – 2 / 225.

فمن يا ترى أولى بالإتباع والموافقة؟ أتلك الجمهرة من خيار الأمة وأئمتها؟، أم من خالفهم ووافق الجهمية والمعتزلة؟.

2- إن ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في أنه توفي موت[1] ، يُجاب بثلاثة وجوه:-

أ- إنها ضعيفة؛ لأنها رواية علي بن طلحة .

ب- إن مراده كمراد وهب بن منبه أن عيسى u توفاه الله وفاة موت ثلاث ساعات ثم أحياه لينزل إلى الأرض في آخر الزمان. لأن ابن عباس ممن قال فيما صحّ عنه بنزول عيسى وأنه حي في السماء وذلك في تفسير قوله تعالى : {**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** }(الزخرف :61).

ج- إنه توفي موت ولكن بتقديم وتأخير أنه رفعه وطهره ثم يتوفاه بعد نزوله في الأرض[2].

3- إن من المعلوم بالضرورة أن السنة مفسرة للقرآن وموضحة لمشكله ومبينة لمجملة ومخصصة لعمومه ومقيدة لمطلقه، فالآية تفسرها السنة الصحيحة بل المتواترة عن رسول الله ε بأن عيسى لم يمت وأنما سينزل في آخر الزمان؛ وليس بعد بيان النبي ε من بيان ولا بعد قول رسولنا الكريم من قول وكفى به وألزم.

الشبهة الثانية : قوله تعالى : { **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** }المائدة :117) .

والجواب عليها: أن قوله u { **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي** } هو قوله يوم القيامة، ولا شك أنه يموت قبل يوم القيامة، فإخباره يوم القيامة لا يدل على أنه الآن قد مات، فلا دليل في الآية على موته الآن البتة. وواضح أنها شبهة لا تنطلي على أحد ذي علم قليل.

الشبهتان الثالثة والرابعة : قوله تعالى : {**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** }(الأحزاب :40). وهذه الشبهة تشابه الشبهة الرابعة وهي حديث " لا نبي بعدي"[3] فندفعهما معاً بثلاثة أمور:

الأول : أن عيسى u لن ينزل بملة جديدة أو رسالة أخرى أو يقيم الإنجيل شرعة ومنهاجاً، بل الصحيح ما أخبر به رسول الله ε أن عيسى u سينزل إماماً حكماً عدلاً مقسطاً على ملة الإسلام، ولا إشكال في هذا ولا انتقاص من قدر عيسى u، يدل على ذلك قوله ε : " والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتُتركن

---

(1) المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد - تحقيق: محمد سيد كيلاني - دار المعرفة – لبنان – 1 / 529.

(2) تفسير البغوي – 1 / 308.

(3) رواه البخاري – 3 / 1273 – حديث رقم 3268، ومسلم – 3 / 1471 – حديث رقم 1842.

القلاص فلا يُسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد "[1].

قال النووي في رده على المكذبين بنزول عيسى الزاعمين أن نزوله لو كان حقــاً فإنــه يكون مناقضاً لقوله υ: " لا نبي بعدي "، وأنه يكون بذلك ناسخاً لشرع الرســول ε " هــذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسى υ أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا، لا في هذه الأحاديث، ولا في غيرها شيء من هذا...، بل صح أنه ينزل حكماً مقسطاً...، يحكّم شرعنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس "[2].

الثاني : أن الله تعالى أخذ ميثاق النبيين أن يؤمنوا بمحمد ε ويتبعوه، قال تعالى : {**وَإِذْ أَخَــذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُــم مِّــنَ الشَّاهِدِينَ** }(آل عمران :81) قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم : " ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلاّ أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمداً ε وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه"[3].

الثالث : أن النبي ε أخبر أن موسى لو كان حياً لما وسعه إلاّ أن يتبعه كما في حديث أحمد عن جابر" والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلاّ أن يتبعني "[4]، فأين الإشكال في هذا مع كونه ε خاتم النبيين؟ وقوله : " لا نبي بعدي " فلا تعارض بين نزول عيســى u وختم النبوة بمحمد ε، فاندفع الإشكال فليس لهم بعده للتشكيك مجال.

الشبهة الخامسة : دعوى أن أحاديث نزول عيسى أحاديث آحاد لا يحتج بها في العقائد:

هناك أحاديث كثيرة جداً في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من دواوين السنة، كلها جمعاء تدل دلالة صريحة على ثبوت نزول عيسى u في آخر الزمان، وقد سبق شــيء منها، منها أحاديث أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول، فهي مفيدة لليقين حتى عند أهل البدع من أهل الكلام، الذين لا يحتجون بأخبار الآحاد في العقائد، ولا حجة لمن ردها بــدعوى أنهــا أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة، وأن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين يجب الإيمان بها؛

---

(1) سبق تخريجه .
(2) شرح النووي على مسلم – 18 / 75.
(3) تفسير ابن كثير - 502/1.
(4) رواه أحمد في المسند – 3 / 387. قال الحافظ ابن حجر فيه : رجاله موثوقون، انظر فتح الباري : 13 / 334.

لأنه إذا ثبت الحديث عن النبي ε؛ وجب الإيمان به، وتصديق مـــا أخبـــر بـــه الصـــــادق المصدوق ε، ولا يجوز لنا رده بحال من الأحوال.

فخبر الآحاد الذي يصححه أهل الحديث ويقبلونه حجة في العقائد والأحكام، بإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين وتابعيهم، قد كانوا يروون أحاديث الآحاد في العقائد، ويعتقدون بما تضمنته من الأمور الغيبية، ولا يفرقون بينها وبين أحاديث الأحكام في شروط القبول وأسباب الرد، بل يوجبون في أحاديث العقائد ما يوجبونه في أحاديث الأحكـــام مـــن التثبت والتحري .

وقد قال الإمام الشافعي في كتابه الرسالة : " ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة : أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لـــم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي، ولكن أقول : لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد، بما وصفت من أن ذلك موجود على كلهم "[(1)] .

وقال الإمام ابن عبد البر وهو يتكلم عن خبر الآحاد وموقف العلماء منه: " وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقـــده، على ذلك جميع أهل السنة "[(2)] .

وقال ابن القيم في " مختصر الصواعق " وهو يرد على من لم يحتج بخبر الآحاد في العقائد : " وأما المقام الثامن : وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث، وإثبات صفات الرب تعالى بها، فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول أن الصـــحابة - رضي الله عنهم - هم الذين رووا هذه الأحاديث، وتلقاها بعضهم عن بعض بـــالقبول، ولـــم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم ..."[(3)].

بل إن رد خبر الآحاد في العقائد يؤول إلى رد السنة كلها جمعاء كما قال الإمام ابـــن حبان في مقدمـــة صحيحه: " فأما الأخبار فإنها كلها أخبار آحاد "، إلى أن قال " وأن مـــن

---

(1) الرسالة - محمد بن إدريس الشافعي - ت: أحمد محمد شاكر - القاهرة - 1358 – 1939م – 1 / 457 .

(2) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - ا بن عبد البر - تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب – 1387هـــ - 1 / 8.

(3) مختصر الصواعق على الجهمية والمعطلة – ابن قيم الجوزية – ت: سيد إبراهيم – دار الحديث – القاهرة– ط 1 – 1412هـــ 1992م - 577 .

تتكب عن قبول أخبار الآحاد، فقد عمد إلى ترك السنن كلها؛ لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد "[1].

الشبهة السادسة : دعوى أن أحاديث نزول عيسى غير متواترة :

ذلك كله على فرض أن أخبار نزوله أخبار آحاد، فكيف وقد نص العلماء على تواترها، وفي مقدمتهم إمام المفسرين الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره عند تفسير **{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ }**(آل عمران :55)، حيث قال : بعد أن ذكر الخلاف في معنى وفاة عيسى : " وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ من قال : " معنى ذلك : إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ "، لتواتر الأخبار عن رسول الله - ε - أنه قال : "ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال"[2]، ثم ساق بعض الأحاديث الواردة في نزوله.

وممن نص على التواتر أيضاً الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى " **{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ }**(الزخرف :57)، فقال - رحمه الله - : " وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله - ε - أنه أخبر بنزول عيسى u قبل يوم القيامة : إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً "[3]، ثم ذكر أكثر من ثمانية عشر حديثاً يضيق المقام بذكرها.

وقال في تفسير قوله تعالى : **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً }**(النساء :159) : " فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ε من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية، و أبي سريحة، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم، حيث فيها دلالة على صفة نزوله، ومكانه من أنه بالشام، بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح، وقد بنيت في تلك الأعصار سنة إحدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الأموي بيضاء، من حجارة منحوتة؛ عوضاً عن المنارة التي هدمت؛ بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى ... وقد قويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى بن مريم u . . . "[4].

---

(1) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي - تحقيق : شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة – بيروت – ط 2 – 1414هـ - 1993م – 1 / 156.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري – 3 / 287 .

(3) تفسير القرآن العظيم - إسماعيل ابن كثير – 4 / 167.

(4) تفسير القرآن العظيم - إسماعيل ابن كثير – 1 / 768.

وممن نص على التواتر الشوكاني رحمه الله في كتاب له بعنوان : " التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح "، وكذلك الكتاني رحمه الله في كتابه : " نظم المتناثر من الحديث المتواتر "، وصديق حسن خان في كتابه " الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة "، والألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز .

وممن جمع الأحاديث في نزول عيسى u الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في كتابه: "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، حيث ذكر أكثر من سبعين حديثاً .

إذاً فأحاديث نزوله u في آخر الزمان ثابتة بالتواتر المعنوي، ولو كانت آحاداً لكان واجباً علينا التسليم بها، والإيمان بمضمونها، فكيف وقد ثبتت بالتواتر .

الشبهة السابعة : دعوى الاضطراب وعدم قطعية الدلالة:

أما الزعم بأنها أحاديث مضطربة في متونها، منكرة في معانيها فهي دعوى غير صحيحة لأن تلك الروايات كلها جمعاء متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ... إلخ، وغاية ما في الأمر أن بعضاً منها يفصل ذلك، وآخر يجمله، وبعضاً يوجز وآخر يطنب، كطريقة القرآن حين يورد القصة الواحدة في سور متعددة، بأساليب متعددة، يزيد بعضها على بعض، بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة كل السور التي ذكرت فيها .

فجعل ذلك الاختلاف الذي يقوي شأن الحديث، ويدل على تعدد مخارجه، من باب التعارض الموجب للاضطراب خطأ بين، وعلى فرض وجود ذلك التعارض فإن الجمع بين تلك الأحاديث بما ينفي عنها صفة الاضطراب غير متعذر، ذلك لو قلنا بوجود التعارض فيما بينها .

وأما الزعم بأنها ليست محكمة الدلالة، ومن أجل ذلك؛ أولها العلماء فهو زعم باطل لا أساس له من الصحة، بل هو تحريف وتبديل للنصوص الثابتة الصريحة من غير حجة ولا قرينة، فقد نصت الأحاديث صراحة على نزوله u بشخصه وصفته، بين مهرودتين، واضعاً يديه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، وأنه سيدرك الدجال بباب لد فيقتله، ويأتي قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة،...إلخ، من حديث النواس بن سمعان[1]، كما نصت على أنه يمكث في

---

(1) رواه مسلم – 4 / 2250 – حديث رقم 2937 .

الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون كما في مسند أحمد بسند صحيح[1]، فهل يصح من عاقل يعرف اللغة ومفرداتها، فضلاً عمن ينتسب إلى العلم أن يفسر ذلك بغلبة رسالته، وتعاليمه التي تأمر بالرحمة والمحبة والسلم، وتدعو إلى الأخذ بمقاصد الشريعة دون ظواهرها؟ وهل يعقل أن يكون الذي يصلي عليه المسلمون ثم يدفن هي تعاليمه ورسالته؟ .

ما ذلك إلا من : العبث والتلاعب والاستخفاف بالعقول الذي ينبغي أن ينزه عنه كلام العقلاء من البشر، فضلاً عن كلام من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

المطلب الثالث: نزول عيسى عليه السلام عقيدة إيمانية :

وإذا كانت نصوص الكتاب والسنة قد دلت على رفع عيسى u إلى السماء، وأنه حي بروحه وجسده، وأنه سينزل في آخر الزمان، وانعقد الإجماع على ذلك، فإنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليه تلك النصوص، وأن يعقد قلبه عليها؛ لأن هذه المسألة من مسائل الإيمان بالغيب، وإلا لما كان لذكرها أي فائدة، ومن أجل ذلك ذكر أهل العلم نزول عيسى u، فقتله الدجال، في عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر بعد أن ذكر بعض العلامات : " وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن "[2] .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : " أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - ε - والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة "[3] ثم ذكر جملة من عقيدة أهل السنة، فقال : " والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه (كافر)، والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم u ينزل فيقتله بباب لد "[4] .

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في سرده لعقيدة أهل الحديث والسنة : " جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار : بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله،

---

(1) انظر : مسند الإمام أحمد – 2 / 406 .

(2) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والاكبر - أبو حنيفة النعمان بن ثابت - تحقيق : د.محمد بن عبدالرحمن الخميس - مكتبة الفرقان – عجمان – ط 1 – 1999م – ص 72 .

(3) أصول السنة - أحمد بن حنبل - دار المنار - الخرج – السعودية – ط1 - 1411هـ - ص 15.

(4) أصول السنة - أحمد بن حنبل - ص33.

وما رواه الثقات عن رسول الله - ε – لا يردون من ذلك شيئاً ... "[1] إلى أن قال : " ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يقتله "، ثم قال في آخر كلامه : " وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب "[2].

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي في " لمعة الاعتقاد " : " يجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله - ε – وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، سواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه ... "[3] ثم قال : " ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم u فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل "[4].

وقال الطحاوي في عقيدته المشهورة : " ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم u من السماء "[5] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " والمسيح ε وعلى سائر النبين لا بد أن ينزل إلى الأرض... كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان في السماء الثانية، مع أنه أفضل من يوسف و إدريس و هارون؛ لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره، وآدم كان فى سماء الدنيا؛ لأن نسم بنيه تعرض عليه "[6] .

ونقل النووي عن القاضي عياض قوله : " ونزول عيسى وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله؛ فوجب إثباته "[7] .

فالواجب على كل مسلم، كمال التسليم للرسول - ε - والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون معارضته بعقل أو رأي، وأن يوحِّد الرسول بالتحكيم والتسليم،

(1) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - علي بن إسماعيل الأشعري – دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط 3 - تحقيق : هلموت ريتر - ص 290 .

(2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - علي بن إسماعيل الأشعري - ص 297 .

(3) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي - تحقيق : بدر بن عبد الله البدر - الدار السلفية – الكويت – ط 1 – 1406هـ - ص 134 .

(4) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي – ص 134 .

(5) شرح العقيدة الطحاوية - ص 499.

(6) مجموع الفتاوى - أحمد بن تيمية – 4 / 329 .

(7) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - يحيى بن شرف بن مري النووي - دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط 3 – 1392هـ - 18 / 75 .

والانقياد والإذعان، كما يوحد المرسِل بالعبادة والخضوع، والذل والإنابة والتوكل، وذلك هو مقتضى شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله .

مما سبق يتبين أن هناك إجماع على رفع المسيح حياً، ثم نزوله آخر الزمان. والقائلون بذلك يستندون على ما جاء في : (آل عمران 45، 46، المائدة 110، النســاء 157، 159، والزخرف 57، 59، 61)، وأيضاً على أكثر من سبعين حديثاً حول هذا الموضوع.

قال السيوطي - العلامة والمفسر المعروف - : " نفي نزول عيسى كفر "[1].

وقال الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان: " أنه لا محيد لمن آمن بنبوة محمد من أن يؤمن بنزول عيسى بن مريم النبي الإسرائيلي بعينه في آخر الزمان، من غير تأويل ولا تأمل، ومن أبى فقد أبى"، أي من أبى الإيمان بنزول عيسى فقد أبى الإيمان بنبوة محمد. ونعوذ بالله من ذلك[2].

المطلب الرابع : **أوصاف عيسى u وكيفية نزوله** :

أخبرنا القرآن الكريم أن عيسى لم يُقتل ولم يصلب كما ادعت النصارى، بل رفعه الله إليه في السماء، وأنه سيعود في آخر الزمان، فيقتل الدجال، ويظهر الإسلام ويدعو إليه.

قال تعالى: { **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُــوهُ وَمَــا صَلَبُوهُ وَلَـــكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَــاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً{157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً{158} وَإِن مِّنْ أَهْــلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَــهِيداً{159}** (النســاء: 157-159).

وأخبرنا الحق في كتابه أن عيسى سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله سيكون علامــة دالة على قرب وقوع الساعة {**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** } (الزخرف:61)، كما أخبر أن بعض أهل الكتاب في ذلك الزمان سيؤمنون به، { **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَــوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** } (النساء: 159).

---

(1) نزول عيسى بن مريم آخر الزمان. للإمام جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار إحياء السنة النبوية. ص54.

(2) التصريح بما تواتر في نزول المسيح - الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي - ص80.

عقيدةُ أهلِ الإسلامِ في نزولِ(عيسى) u

أولاً : أوصاف عيسى u :

أما عن أوصافه: فرسول الله ε وصفه، ووصف كيفية نزوله في الحديث التالي بقوله ε: " ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل"[1].

وقال رسول الله ε: "... فبينما هو كذلك " أي : الدجال " إذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مهرودتين[2] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جُمان كاللؤلؤ"[3].

فعيسى υ رجل مربوع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر جعد عريض الصدر سبط الشعر كأنما خرج من ديماس " حمام " له لمة[4] قد رجلها[5] تملأ ما بين منكبيه.

ثانياً: كيفية نزوله:

بعد خروج الدجال وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى u فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وعليه مهرودتان، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات[6]، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلي خلف أمير تلك الطائفة.

ففي حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر خروج الدجال ثم نزول عيسىu قال ε: " إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر؛ وإذا رفعه؛ تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه،

---

(1) رواه أبو داود – 2 / 520 حديث رقم 4324. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) المهرودتان: أي يلبس ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران يميلان إلى الصفرة.

(3) رواه مسلم – 4 / 2250 حديث رقم 2937.

(4) اللمة: ما يلم بالمنكبين من الشعر.

(5) رجلها: سرحها.

(6) ويكون ذلك بعد إيمان أهل الكتاب المنصوص عليه في قوله تعالى :**{ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً }**(النساء: 159).

فيطلبه– أي : يطلب الدجال – حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوماً قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة "[1].

المطلب الخامس : نزول عيسى u من حيث الزمان والمكان :

أولاً : موعد نزول عيسى u :

ينزل عيسى بن مريم υ في وقت اصطف فيه المسلمون لأداء الصلاة، وذلك بعد ظهور المهدي υ، وخروج الدجال، ومكثه في الأرض أربعين يوماً " يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم "[2].

وأول عمل يقوم به عيسى بعد الصلاة - فهو ينزل وقد أقيمت الصلاة، وتقدم المهدي فعلاً ليصلي بالناس - هو مواجهة الدجال، فبعد نزول عيسى يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال، فيأمرهم عيسى بفتح الباب " فإذا رآه عدو الله؛ ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته "[3].

والسر في عدم ترك عيسى ابن مريم الدجال حتى يموت بنفسه هو إنهاء أسطورة ذلك المخلوق وفتنته، فإن الناس إذا شاهدوا قتله وموته استيقنوا أنه عبد ضعيف مغلوب على أمره، وأن دعواه كانت زوراً وكذباً[4] .

ثانياً: مكان نزول عيسى u:

ينزل عيسى υ عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بسوريا حيث مقر المهدي والمسلمين معه، قال رسول الله ε: " ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق"[5].

---

(1) رواه مسلم – 4 / 2250 – حديث رقم 2937 .

(2) رواه مسلم – 4 / 2250 حديث رقم 2937، وعليه تكون مدة لبث الدجال في الأرض نحواً من سنة وشهرين وعشرة أيام.

(3) رواه مسلم – 4 / 2221 حديث رقم 2897.

(4) اليوم الآخر: القيامة الصغرى – عمر سليمان الأشقر – دار النفائس – الأردن – عمان – ط 5 – 1414هـ - 1994م– ص 264.

(5) صحيح رواه الطبراني عن أوس بن أوس.

المطلب السادس : **الحكمة في نزول عيسى u دون غيره من الأنبياء** :

الحكمة في نزول عيسى u دون غيره من الأنبياء، مسألة تلمس لها العلماء عدداً من الحكم، نذكر منها:

1- الرد على اليهود الذين زعموا : أنهم قتلوه فينزل فيقتلهم ويقتل رئيسهم مسيح الضـــلالة، قال ابن حجر في فتح الباري: " قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنه قتلوه فَبَيَّن الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقــتلهم " [1].ورجـــح الحافظ ابن حجر تلك الحكمة على غيرها.

2- ومنها أنه ينزل مكذباً للنصارى فيظهر زيفهم فيما ادعوه عليه، ثــم يحـــاربهم ويكســـر شعارهم الصليب، كما عند البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة – رضـــي الله عنـــــه- أخبر– ε- " ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير..."[2]، وعند الطبراني في الأوسط من طريق أبي صالح عن أبي هريرة - رضي الله عنه- "فيكسر الصليب ويقتل الخنزير"[3] قال الحافظ في الفتح : " إسناده لا بأس به "[4].

3- أن نزول عيسى υ يوافق خروج الدجال ليقتله ويخلص الناس من فتنته.

4- أن خصوصيته بذلك لقربه من النبـــي – ε - زماناً وبشارة وتصديقـــاً، كما دل عليـــه قوله – ε - " أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء عَلاَّتٍ، وليس بيني وبين عيسى نبي"[5] .

فرسول الله ε أخص الناس به وأقربهم إليه وقد بشر عيسى به ودعا إلى الإيمان بـــه، قال تعالى: { **وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** }(الصف: 6)، وقال ε " أنا دعـــوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى "[6].

---

(1) فتح الباري – 6 /493.

(2) رواه البخاري – 2 / 774 – حديث رقم 2109، ومسلم – 1 / 135 – حديث رقم 155 .

(3) المعجم الأوسط - سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني - دار الحرمين - القاهرة – 1415هـ - 2 / 89 – حديث رقم 1342 .

(4) فتح الباري – ابن حجر - 491/6 .

(5) أخرجه البخاري – 3 / 1270 – حديث رقم 3259،ومسلم – 4 / 1337 – حديث رقم 2365، واللفظ له من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه.-

(6) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين - محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص - دار الكتب العلمية – بيـــروت – ط1 – 1411هـ - 1990م – 2 / 453 – حديث رقم 3566 .

5- أنه هو الذي بشر بالنبي ε، فهو الذي دعا إلى الإسلام دين محمد ε، وقضى على جميع الأديان، ويدل عليه أول الحديث السابق عند أبي داود : " فيقاتل الناس على الإسلام؛ فيــدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإســلام... "[1] الحديث.

وقد بشر عيسى υ بأن رسول الله يأتي بعده، وقد دعا الخلق إلى تصــديقه واتباعــه، ويأتي نزوله معززاً لتلك البشارة والدعوة[2].

6- أن نزوله u من السماء؛ لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التــراب أن يموت في غيره، قال تعــالى: { **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** }(العنكبــوت: 57) ولذلك سيموت في الأرض ثم يصلي عليه المسلمون، كما في سنن أبي داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه- عن النبي – ε- : "ثم يتوفى فيصلِّي عليه المسلمون"[3] .

المطلب السابع : **عيسى** u **يصلي مأموماً وليس إماماً** :

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε: " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزيــر، ويضــع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد،..." [4].

فالسبب في عدم تقدم عيسى للإمامة؛ هو الدلالة على أنه جاء تابعاً لنبينا محمد ε، حاكماً بالقرآن لا بالإنجيل، فإن شريعة القرآن ناسخة للشرائع قبلها.

قال ابن الجوزي: " لو تقدم عيسى إماماً؛ لوقع في النفس إشكال وقيل : أتراه تقدم نائباً؟ أو مبتدئاً شرعاً؟ فصلى مأموماً؛ لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله ε : " لا نبي بعــدي"[5]. وهو كلام في غاية الحسن والإتقان.

المطلب الثامن : **أحداث تقع في زمن عيسى** u :

1- قتل المسيح للدجال في مدينة اللد بفلسطين كما تقدم.

2- يظهر في زمانه يأجوج ومأجوج فيدعو نبي الله عيسى υ عليهم، فيستجيب الله تعــالى وتكون نهاية تلك الفتنة في حياته u أيضاً.

---

(1) رواه أبو داود – 2 / 520 – حديث رقم 4320، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح .

(2) التصريح بما تواتر في نزول المسيح – محمد أنور الكشميري– ص 94.

(3) رواه أبو داود – 2 / 520 – حديث رقم 4320، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح .

(4) رواه البخاري – 3 / 1272 حديث رقم 3264، ومسلم – 1 / 135 حديث رقم 155.

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - 6 / 494.

3- يدعو الناس إلى الإسلام، فيحدث في زمانه إيمان بعض النصارى وتركهم الصليب، لقوله تعالى:{ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**}(النساء: 159).

4- يقتل عيسى υ الخنزير فيبطل دين النصارى، ويضع الجزية، أي: يبطل حكمها فلا يقبلها من أحد إلا الإسلام، ويحاربهم عليه فتهلك جميع الملل إلا الإسلام.

5- ثم تضع الحرب أوزارها ويعيش الناس في نعمة لم ينعموا مثلها فترفع الشحناء والبغضاء وينزع السم من ذوات السموم حتى يدخل الوليد يده في فِيّ الحية فلا تضره، ويلعب الصبيان مع الأسود والسباع فلا تضرهم ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتخرج الأرض بركتها وتنزل السماء خيرها[1].

6- يعيش عيسى υ أربعين سنة كما ورد عن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ε: "... فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون "[2] .

7- ورد أن نبي الله عيسى سيحج البيت ويعتمر، فقد روي عن النبي ε قوله: "والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء[3]، حاجاً أو معتمراً، أو ليثنيهما "[4].

8- يتزوج عيسى بن مريم υ في الأرض. ويقيم بها[5].

9- وفاة عيسى υ، وتكون في المدينة المنورة على ساكنها أزكى الصلوات وأتم التسليمات، حيث يُصلي عليه ثم يُدفن بالحجرة النبوية[6].

---

(1) انظر: صحيح ابن حبان – 15 / 233 حديث رقم 6821، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) رواه أبو داود – 2 / 520 حديث رقم 4324، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(3) فج الروحاء : مكان بين المدينة ومكة يبعد أربعين ميلاً عن المدينة.

(4) رواه مسلم – 2 / 915 حديث رقم 1252.

(5) انظر: فتح الباري – ابن حجر العسقلاني – 6 / 493، وعون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي – 11 / 307.

(6) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي – 11 / 307، وانظر أيضاً: البداية والنهاية - ابن كثير - مكتبة المعارف – بيروت – 6 / 291.

الخـــاتـــمـــة

بعد هذا العرض المستفيض، للأدلة الدامغة على نزول عيسى u آخر الزمان، وشبهات منكري نزول عيسى u والرد عليها، أحمد الله تعالى أن أعانني على إتمام هذا البحث، آملاً أن يكون هذا العمل خطوة تسهم في تصحيح العقائد الباطلة، والنحل الفاسدة - إن شـــاء الله تعالى - ، وأختم بإبراز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وقد جـــاءت متنوعة، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

1- إنّ وصف عيسى u بأنّه روح الله هو من باب التشريف والتكريم لعيسى وهذه الإضافة- وهي إضافة كلمة روح إلى لفظ الجلالة - ليست إضافة صفة إلى الموصـــوف كيـــد الله ووجه الله وإنما هي إضافة المخلوق إلى خالقه كوصف الكعبة بأنها بيت الله، وأيضاً ناقة الله، وهي المعجزة التي آتاها الله نبيه صالحاً u .

2- مسيح المسلمين المنتظر هو عيسى ابن مريم u سينـــزل في آخر الزمان، كما ثبت ذلك بالقرآن والسنة فيقتل الدجال، وينصر المسلمين وإمامهم الرجل الصالح المهدي مـــن آل البيت.

3- ثبوت نزول عيسى u في آخر الزمان عند المسلمين، ورد في ذلك خمس إشارات قرآنية أفادت ذلك وتقررته، والعشرات العشرات من الأحاديث الصحيحة والحسنة.

4- يعتقد المسلمون بما تضمنته الآيات والأحاديث المتواترة بأن المسيح عيسى u قد رفعه الله تعالى إلى السماء، وأنه باقٍ حياً فيها إلى قرب قيام الساعة، حيث سينزل إلـــى الأرض : فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويحكم بالشريعة المحمدية، ثـــم يمـــوت u كسائر البشر .

5- مرد منكري نزول عيسى u بين المسلمين، هو إلى مذهب الجهمية والمعتزلة في هـــذا الشأن. ومن قال بذلك من المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة في العموم، فمرده إلى أولئك وبهم تأثر، وعليهم وعلى حججهم يعول، والمعاصرون من المنكرين كانت لهم مصـــــادر شتى في النـــزوع إلى ذلك الإنكار، منها تأثرهم بسلفهم من أهل الأهواء والبدع، وتأثرهم بالفلسفة الأوروبية المادية الحديثة.

6- التعاليم والمبادئ التي نادى بها المسيح وأعلنها في بني إسرائيل مثلت اتجاهـــاً معاكســـاً لكثير مما كان عليه القوم من تعاليم وأفكار وقيم، ولهذا وجهت الحـــرب للداعي والمعلم المسيح u بصور متنوعة.

7- إن عيسى u رفع حياً والدلالة على ذلك ما ذكرناه من الأحاديث الصـــحيحة المتـــواترة المصرحة بنزوله بذاته الشريفة، التي لا تحتمل التأويل.

وعليه فمن زعم أن عيسى u قُتِل أو صُلِب؛ فهو كافر مرتد حلال دمه ومالـــه؛ لتكذيبـــه القرآن وخلافه الإجماع، وهذا ما نص عليه أبو محمد بن حزم.

8- إن منكري نزول عيسى u المعاصرين ساقوا ذات الشبهات التي ساقها الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، وقد تعرضوا لأحاديث نزول عيسى u - كما تعرضوا غيرها - بـــالهجوم والنقد؛ لأنها لم ترق لهم، محتجين بحجج واهية، وشبه ساقطة.

والحق أن أحاديث نزوله u في آخر الزمان ثابتة بالتواتر المعنوي، ولو كانت آحاداً لكـــان واجباً علينا التسليم بها، والإيمان بمضمونها، فكيف وقد ثبتت بالتواتر؟!.

9- إذا كانت نصوص الكتاب والسنة قد دلت على رفعه إلى السماء، وأنـــه حـــي بروحـــه وجسده، وأنه سينزل في آخر الزمان، وانعقد الإجماع على ذلك؛ فإنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليه تلك النصوص، وأن يعقد قلبه عليها، لأن هذه المسألة من مسائل الإيمان بالغيب، وإلا لما كان لذكرها أي فائدة، ومن أجل ذلك ذكر أهـــل العلـــم نـــزول عيســـى u، فقتله الدجال، في عقيدة أهل السنة والجماعة.

10- إن هناك شبه إجماع على رفع المسيح حياً، ثم نزوله آخر الزمان. والقـــائلون بـــذلك يستندون إلى ما جاء فـــي (آل عمـــران 45، 46، المائـــدة 110، النســـاء 157، 159، والزخرف 57، 59، 61)، وأيضاً إلى أكثر من سبعين حديثاً حول هذا الموضوع.

11- إن عيسى u سينزل آخر الزمان حَكَماً عدلاً يحكم بشريعة محمد ε، وذلك من علامات الساعة الكبرى، وهو ما بينه النبي ε.